الأدلة الفطرية والعقلية

على وجود الله في سورة فاطر

إعداد الدكتورة

خلود بنت محمد السياري

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الفكرية

كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود

الملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدلة الفطرية والعقلية على وجود الله في سورة فاطر

خلود بنت محمد السياري

قسم الدراسات الفكرية، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: kmsayari@imamu. edu. sa

ملخص البحث:

يهدف بحث: (الأدلة الفطرية والعقلية على وجود الله في سورة فاطر) إلى الكشف عن الأدلة الفطرية والعقلية التي ورد ذكرها في سورة فاطر، وذلك باستخدام المنهج التحليلي من خلال تحليل سورة فاطر وتصنيف آياتها والمنهج الاستنباطي وذلك من خلال استنباط الأدلة الفطرية والأدلة العقلية في سورة فاطر وتجليتها. وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، حيث جاء في التمهيد التعريف بسورة فاطر ومقاصدها، وفي المبحث الأول تجلية الأدلة الفطرية على وجود الله في سورة فاطر، وفي المبحث الثاني تجلية الأدلة العقلية على وجود الله في سورة فاطر، وكان من نتائج هذا البحث أن من مقاصد سورة فاطر الحديث عن الله _سبحانه وتعالى_ وعن عظمته في خلقه، وقدرته الظاهرة في كثرة التنوع والاختلاف في مخلوقاته. وأن الدليل الفطري هو من أقوى الأدلة على وجود الله _تعالى_ وهو متضمن للدليل العقلي. وأن سورة فاطر تضمنت الأدلة الفطرية كدليل الشعور بالافتقار للخالق _سبحانه_، وشعور حرية الإرادة والاختيار. وأن الأدلة العقلية في سورة فاطر تندرج تحت نوعين من الأدلة دلالة الخلق والإيجاد ودلالة العناية والإحكام. وقد أوصى البحث بتتبع سور القرآن الكريم ودراسة دلائل وجود الله _تعالى_ فيها، لتعزيز اليقين وللرد على المنكرين الجاحدين. وبالتركيز على أدلة وجود الله ﷻ وإفراداها بالتدريس في مناهج التعليم.

الكلمات المفتاحية: سورة فاطر، الأدلة العقلية، الأدلة الفطرية، وجود الله.

Mental and Natural Evidence about the Existence of Allah in *Surat* Fâtir

Dr.. Kholoud bint Mohammed Al Sayari
Department of Intellectual Studies, College of Fundamentals of Religion and Da'wah, Imam Muhammad ibn Saud University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email Kmsayari@imamu. edu. sa

Abstract

The study aims to unravel the mental and natural evidence mentioned in *Surat* Fâtir by using the analytical approach to analyze the *Surat* and classify its verses and the deductive approach to deduce such evidence and its manifestations in the *Surat* as well.

The study falls into an Introduction، a Preface، Two Chapters، and a Conclusion. The Preface discusses the *Surat* and its objectives. The First Chapter unravels the natural evidence about the existence of Allah in *Surat* Fâtir. The Second Chapter reveals the mental evidence about the existence of Allah in the *Surat*.

The study concludes that the objectives of *Surat* Fâtir are: the speech about Allah، the Exalted، His greatness in His creation، and His apparent power are revealed in the abundance of diversity and difference in His creatures; natural evidence is the strongest to lay bare the existence of Allah، the Almighty، and it embodies the mental one. It also concludes that *Surat* Fâtir includes natural evidence to prove the sense of lacking toward the Creator— Glory be to Him—and the freedom of will and choice; and that mental evidence in *Surat* Fâtir is subsumed under two types; that is، the notion of creation and existence and that of providence and perfection.

The study recommends tracing the *Surahs* of the Noble Qur'an and studying the evidence about the existence of Allah، the Almighty، within them to enhance certainty and refute the suspicions of the deniers. Moreover، the study also recommends focusing on the evidence about the existence of Allah the Almighty and paying much attention to their teaching in the educational syllabuses.

Keywords: *Surat* Fâtir، Mental evidence، Natural evidence، the Existence of Allah.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، أما بعد:

فإن الإقرار بوجود الله ـ ﷻ ـ أمر مستقرٌ في الفطرة البشرية ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم بالتذكير بهذه الفطرة التي فطرنا الله عليها، والتي تقود الإنسان إلى خالقها إذا تجرد للحق، ومن تكبر وجحد هذه الفطرة فإن القرآن الكريم يكلمه بالحجة والبرهان العقلي الذي تندمغ معه كل حجة قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنعام ١٤٩). وقد تضمنت سورة فاطر جملة من الآيات التي تستعرض الأدلة الفطرية والأدلة العقلية التي تثبت وجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ ووحدانيته. كدلائل الخلق والقدرة ودلائل التسخير والإنعام ودلائل الفطرة. وجاء هذا البحث لتجلية هذه الدلائل وهذه الهدايات القرآنية، وقد جعلت عنوانه: (الأدلة الفطرية والعقلية على وجود الله في سورة فاطر).

أهمية البحث:

- تعلق هذا الموضوع بتوحيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبالغاية التي لأجلها خُلق الإنسان.
- الحاجة إلى تجلية وتوضيح الأدلة الفطرية والعقلية من القرآن الكريم.
- الحاجة إلى التنوع في أساليب الرد على الملاحدة المنكرين لوجود الله ـ تعالى ـ.

إشكالية البحث:

في هذا العصر الذي كثر فيه الإلحاد وإنكار وجود الله سبحانه، أصبح من اللازم على الباحث الشرعي أن يرد على هؤلاء المنكرين ويتصدى لهم بشتى الوسائل. حيث تتمحور مشكلة هذه الدراسة حول سؤال كيف رد القرآن الكريم على هؤلاء المنكرين لوجود الله

تعالى؟ وماهي السور التي جاءت آياتها في استعراض الأدلة المثبتة لوجود الله ووحدانيته؟

ويتفرع عن هذه الأسئلة الرئيسية أسئلة تفصيلية هي:

ماهي الأدلة الفطرية التي ورد ذكرها في سورة فاطر؟

ما هي الأدلة العقلية التي ورد ذكرها في سورة فاطر؟

أهداف البحث:

١ - بيان الأدلة الفطرية الدالة على وجود الله في سورة فاطر.

٢-توضيح الأدلة العقلية الدالة على وجود الله في سورة فاطر.

٣-تجلية الهدايات القرآنية الكاشفة عن قدرة الله على الخلق والتسخير والإنعام في سورة فاطر.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع لم أقف على بحث يبحث في الأدلة الفطرية والعقلية على إثبات الله وجود الله في سورة فاطر.

ما يضيفه البحث:

تجلية الأدلة الفطرية على وجد الله في سورة فاطر.

تجلية الأدلة العقلية على وجود الله في سورة فاطر.

حدود البحث:

سورة فاطر.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي من خلال تحليل سورة فاطر وتصنيف آياتها. والمنهج الاستنباطي من خلال استنباط الأدلة العقلية والأدلة الفطرية التي تثبت وجود الله تعالى وذلك بالتأمل في آيات هذه السورة وبالبحث في كتب التفسير.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. وجاء على التفصيل الآتي:

المقدمة وعناصرها

التمهيد وفيه التعريف بسورة فاطر ومقاصدها .

المبحث الأول: الأدلة الفطرية على وجود الله _سبحانه_ في سورة فاطر. وفيه:

المطلب الأول: الشعور بالافتقار والتطلع إلى الكمال.

المطلب الثاني: الشعور بحرية الإرادة والاختيار.

المبحث الثاني: الأدلة العقلية على وجود الله _سبحانه_ في سورة فاطر. وفيه:

المطلب الأول: دليل الخلق والإيجاد.

المطلب الثاني: دليل العناية والإحكام.

تمهيد

التعريف بسورة فاطر ومقاصدها

سورة فاطر من السور المكيّة، وسُميت بسورة فاطر ذلك لأنها افتُتحت بفاطر السموات والأرض ولم تُفتتح سورة أخرى بهذه الصفة لله ـ تعالى ـ، وسُميت بسورة الملائكة ووجه ذلك أنه وقع في أولها وصف للملائكة. [1] والمحور الرئيس لهذه السورة هو الحديث عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعن قدرته وعظمته في خلقه، حيث افتُتِحت هذه السورة بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ (فاطر١). ومن مقاصد هذه السورة إظهار قدرة الله في كثرة التنوع والاختلاف الظاهر في مخلوقاته، وأيضًا من مقاصدها بيان فقر الناس وحاجتهم إلى خالقهم ﷻ.

يقول ابن عاشور ـ رحمه الله ـ: "اشتملتْ هذه السُّورة على إثباتِ تفَرُّد الله تعالى بالإلهيَّة فافْتتِحت بما يدلُّ على أنَّه مُستحقٌّ الحمد على ما أبدع من الكائنات الدَّالِّ إبدَاعها على تفَرُّده تعالى بالإلهية. وعلى إثْبات صدق الرَّسول ﷺ فيما جاء به وأنَّه جاء به الرُّسل من قبله. وإثبَات البعث والدَّار الآخرة. وتذكير النَّاس بإنعام الله عليهم بنعمةِ الإيجاد ونعمة الإمدادِ، وما يعبدُ المشركون من دونه لا يغنون عنهم شيئًا وقد عبدهم الَّذين من قبلهم فلم يُغنوا عنهم. وتثبيت النَّبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه. وكشف نواياهم في الإعراض عن اتِّباع الإسلام لأنَّهم احتفظوا بعزَّتهم. وإنذارهم أن يَحِلَّ بهم ما حلَّ بالأمم المكذِّبة قبلهم. والثَّناء على الَّذِين تلَقَّوا الإسلام بالتَّصديق وبضدّ حال المكذبين وتذكيرهِم بأنَّهم كانوا يودُّون أن يرسلَ إليهم رسول فلمَّا جاءهم رسول تكبَّروا واستنكَفُوا. وأنهم لا مفرَّ لهم من

(١) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٤٧، الدار التونسية ـ تونس، سنة ١٩٨٤ هـ.

حلول العذاب عليْهم فقد شـاهدوا آثَار الأمم المكذِّبين من قبلهم، وأن لا يغترُّوا بإمهال الله إيَّاهم فإن الله لا يُخلف وعده والتَّحذير من غرور الشيطان والتذكير بعداوته لنوع الإنسان.(١)

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٤٨، وانظر الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١/ ٣٨٧، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية_ القاهرة.

المبحث الأول

الأدلة الفطرية على وجود الله في سورة فاطر

الفطرة في اللغة: هي الخِلّقة. (١)

قال الخليل: "الفِطرةُ هي التي طُبِعَت عليها الخليقةُ من الدِّينِ، فطَرَهم اللهُ على معرفتِه برُبوبيَّتِه" (٢)

الفطرة اصطلاحًا: "هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين". (٣)

قال ابن عاشور: "الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والفطرة التي تخص نوع الإنسان هي ما خلقه الله عليه جسدًا وعقلًا، فمشيُ الإنسان برجليه فطرة جسدية، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج أمر من غير سببه خلاف الفطرة العقلية." (٤)

وقال ابن عطية: "والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أي الفطرة أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الإنسان التي هي معدة ومهيئة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه. " (٥)

---

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٥٦، دار صادر_ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ. والرازي، مختار الصحاح، ص٢٤١، تحقيق يوسف الشيخ أحمد، المكتبة العصرية_ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠ هـ.

(٢) العين، ٧/ ٤١٨، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.

(٣) الجرجاني، التعريفات، ص ١٦٨، دار الكتب العلمية_ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.

(٤) التحرير والتنوير، ٢١/ ٩٠.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤/ ٢٩، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية_ القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ.

فيشترك التعريف اللغوي للفطرة مع التعريف الاصطلاحي في كون الفطرة هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها، ففطرهم على محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه، وجعلهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه.

والفطرة إذا تُركت على سجيتها فإنها تدل على خالقها ﷻ، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في قوله: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟. ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)" (١)

ويُعد الدليل الفطري من أقوى الأدلة التي يُستدل بها على وجود الله تعالى يقول الشهرستاني: "فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير... وكل ما شهد به الحدوث أو دل عليه الإمكان بعد تقديم المقدمات دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج في ذاته إلى مدبر هو منتهى الحاجات فيرغب إليه ولا يرغب عنه ويستغنى به ولا يستغنى عنه ويتوجه إليه ولا يعرض عنه ويفزع إليه في الشدائد والمهمات فإن احتياج نفسه أوضح له من احتياج الممكن الخارج إلى الواجب والحادث إلى المحدث" (٢).

وهذه السلامة والاستقامة في الفطرة هي امتداد لذلك العهد الذي أخذه الله من بني

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، رقم الحديث: ١٣٥٩، واللفظ له، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم الحديث: ٤٧١١.

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام ص١٢٤_١٢٥، صححه ألفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى.

آدم[١]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف ١٧٢)

ومما يدل على أن معرفة الله واجبة مفطورٌ الناس عليها لجوء الإنسان إلى خالقه إذا دهاه أمر وضاقت عليه دنياه، فإنه يلجأ ويستغيث خالقه اضطرارًا من نفسه، وهذه هي الفطرة التي ذكرها الله في كتابه[٢] قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٦٧)

وتعد المعرفة الفطرية هي الأصل والأساس الذي تقوم عليه الأدلة العقلية وذلك لسببين:

١- إليها مرجع كل استدلال وهي محل اتفاق بين جميع العلماء، مثل أن النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، وأن الجزء أصغر من الكل، وأن الحادث لابد له من محدث، وما ماثل ذلك من العلوم التي لا تقبل التشكيك ولا تحتمل القدح، ولا يوثق بشيء إطلاقًا إن أمكن إنكارها أو القدح فيها. [٣]

٢- أنها هي تلك القوة الكامنة في النفس التي تقتضي الحق وإرادته وطلبه، وإيثاره على الباطل، فهي معلومة لدى كل إنسان سويّ الفطرة، ومن أعظم الحق الذي تعرفه وتطلبه وتريده: أن لها خالقًا بارئًا ومصورًا، يستحق عليها المحبة والشكر على الإيجاد والإمداد.[٤]

---

(١) انظر ابن القيم، كتاب الروح، ص٢٣٤، دار الكتب العلمية_ بيروت.

(٢) انظر جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، ص٢٤، دار الكتب العلمية_ بيروت.

(٣) انظر ابن حزم، الفصل، ١/ ٤٠، مكتبة الخانجي_ القاهرة.

(٤) انظر ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٥٨، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية_ المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ.

فبهذين الأمرين تقوم قائمة الدليل العقلي، فمواده مرجعها أخيرًا إلى هذه العلوم الفطرية التي خلقها الله في النفس البشرية، وعليها بناء العلوم والمعارف، كما أن تأثير الدليل العقلي في النفس مهما كانت قوته ووضوحه وإخضاعه النفس لدلالته إنما يحصل بما في النفس من فطرة على قبول الحق وإرادته وطلبه. (١)

والدليل الفطري يتضمن عدد من المكونات كالبديهيات العقلية(٢)، والحس الأخلاقي في الرغبة في الخير، والقدرة على التمييز بينه وبين الشر، والحس الديني في الافتقار إلى الله والرغبة في اللجوء إليه، والشعور بحرية الإرادة والاختيار، والغرائز التي تدفع بالإنسان نحو بقائه. (٣)

وقد ورد في سورة فاطر بعض من مكونات هذا الدليل الفطري وقد قسمتها في المطالب التالية:

المطلب الأول: الشعور بالافتقار والتطلع إلى الكمال

المطلب الثاني: الشعور بحرية الإرادة والاختيار

---

(١) انظر سعود العريفي، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، ص١٣٤، دار تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ.

(٢) " البديهي: هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب، سواء احتاج إلى شيء آخر من حدس أو تجربة، أو غير ذلك، أو لم يحتج، فيرادف الضروري، وقد يراد به ما لا يحتاج بعد توجه العقل إلى شيء أصلاً، فيكون أخص من الضروري، كتصور الحرارة والبرودة، وكالتصديق بان النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان" الجرجاني، التعريفات، ص٤٣

(٣) انظر عبدالله العجيري، شموع النهار، ص٣٩_٧٩، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ.

المطلب الأول: الشعور بالافتقار والتطلع إلى الكمال.

إن شعور الإنسان بالنقص والافتقار، وعدم قدرته على تلبية متطلباته وإشباع ميوله يجعله يتطلب الكمال عند إله قوي قادر يتوجه إليه توجهًا فطريًا وينزع إليه نزوع افتقار واحتياج.

فما بنا من النقص الذاتي والضعف الجبلي يقودنا بحكم ناموس التضاد إلى القول بوجود مدبر كامل. فكما أن لكل شيء ضد فكذلك نقص الإنسان وعجزه يدل ويبرهن على أن في الغيب قدرة كاملة إليها تتوجه النفس البشرية وتطمئن بها. (١)

وهذا ما يؤكده الله ـعز وجلـ في سورة فاطر حيث يقول تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد} (فاطر: ١٥)

"فهنا يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى اللّه من جميع الوجوه: فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا. فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إياهم بها لما استعدوا لأي عمل كان. فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل لهم من الرزق والنعم شيء. فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد، فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد. فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير. فقراء إليه في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقهم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم. فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصلحوا. فهم

(١) انظر جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، ص٥٥.

فقراء بالذات إليه بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها. وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ: أي الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلها صفات كمال، ونعوت وجلال. ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه [١]"

والله ﷻ حينما يخاطب في هذه الآية الناس بأنهم فقراء إليه ليس على سبيل الإخبار بما لا يعرفونه بل هم يجدون في أنفسهم فطرةً ذلك الاحتياج والافتقار إليه، وإنما هو من باب التذكير لمن عظمت عنده نفسه وظن أنه في غنىً عن خالقه.

يقول ابن عاشور: "وقبل أن يوجَّه إليهم الإعلام بأن اللهَ غني عنهم وجِّهَ إليهم إعلام بأنهم الفقراء إلى اللهِ لأنَّ ذلك أدخَلُ لِلذِّلَّة على عظمتهم من الشُّعور بأنَّ الله غنيٌّ عنهم فإنَّهُم يوقنون بأنَّهم فقراء إلى الله ولكنهم لا يوقنون بالمقصد الَّذي يفضي إليه علمهم بذلك، فأُريد إبلاغ ذلك إليهم لا على وجه الاسْتدلال ولكن على وجه قرع أسماعهم بما لم تكن تقرع به من قَبْلُ عسى أن يَسْتَفِيقوا من غفلتِهِم ويتكَعْكَعُوا عن غرُورِ أنْفُسهم، على أنَّهم لا

(١) الشيخ ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٦٨٦، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

يخلو جَمْعهم من أصحاب عقول صالحَة للوصُول إلى حقائق الحق فأُولئك إذا قُرعت أسماعُهُم بما لم يكونوا يسْمعونه من قبلُ ازْدادوا يقينًا بمشاهدة ما كان محْجُوبًا عن بصائرهم بأستار الاشتغال بفتْنة ضلالهم عسى أن يؤمن من هيَّأه الله بفطرته للْإيمان، فمن بقي على كُفْرِه كان بقَاؤُه مشوبًا بحيرة ومرَّ طعْم الْحياة عنده... " [1].

المطلب الثاني: الشعور بحرية الإرادة والاختيار.

تعد حرية الإرادة عند الإنسان من مكونات الفطرة التي فطر الله الناس عليها، حيث يجد الإنسان ضرورة من نفسه شعور بحرية الإرادة والاختيار لفعل أمر ما من عدمه. ويستطيع التفريق أيضًا بين ما يستطيع فعله بإرادته واختياره وبين ما هو أمر اضطراري خارج عن إرادته كنبضات قلبه مثلاً وجريان الدم في عروقه. وهذا الشعور الفطري بأن لدى الإنسان حرية إرادة يدل على أن هذا الإنسان ليس بكائن مادي يعمل وفق قوانين مادية صرفة وأفعاله هي مجرد نتاج تفاعلات حيو كيميائية بل هو كائن روحي خلقه الله عزوجل وأودع فيه هذا الشعور. [2]

وقد أشار الله ﷻ إلى هذا المعنى في سورة فاطر ونبه إلى أن كل إنسان هو مسؤول عن أعماله التي عملها بكامل حريته التي منحه الله ﷻ إياها. وعلى أساس حرية الإرادة تقوم فكرة الثواب والعقاب فكل إنسان مجازى على أعماله التي يقوم بها باختياره إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ

(١) التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٨٥.

(٢) انظر عبدالله العجيري، شموع النهار، ص٧٩.

شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (فاطر: ١٨)

يقول الإمام الطبري: "وقوله: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) أي: وَلا تحْمل آثِمة إثْم أخرى غيْرها (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حَمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) أي: وإنْ تسْأل ذات ثقلٍ من الذُّنوب من يحمل عنها ذنوبها، وتطْلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئًا منْها، ولو كان الَّذي سألتهُ ذا قرابةٍ من أبٍّ أو أخٍّ" [١].

فبين- سبحانه- أن كل نفس تتحمل نتائج أعمالها وحدها وأنها غير مسؤولة عن إثم نفس أخرى. وإن كانت من أقربائها فكل إنسان يحاسب على أعماله التي عملها بمحض إرادته واختياره.

ثم حث _سبحانه وتعالى_ الإنسان على تزكية نفسه وتطهيرها فقال سبحانه: (وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) "أي: ومن يتطهَّرْ من دنسِ الكفرِ والذُّنوب بالتَّوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته، فإنَّما يتطهَّر لِنَفسه، وذلك أنَّه يُثيبُها به رضا الله، والفوز بجنانه، والنَّجاة من عقابه، الَّذي أعدَّه لأهل الكفر" [٢].

فالآية الكريمة جاء فيها الدعوة من الله- تعالى- للناس، إلى تزكية النفوس وتطهيرها من كل سوء، بعد بيان أن كل نفس مسئولة وحدها عن نتائج أفعالها، وأن أحدًا لن يتحمل وزر غيره وإن طلب منه تحمله فكل إنسان محاسب على عمله. [٣]

(١) جامع البيان في تفسير القرآن، ١٩/ ٣٤٩.

(٢) المرجع السابق، ١٩/ ٣٥٥.

(٣) انظر محمد طنطاوي، التفسير الوسيط، ١١/ ٣٤٠، دار نهضة مصر_ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

وأيضًا جاءت الإشارة إلى حرية الإرادة والاختيار عند الإنسان في آيةٍ أخرى من آيات سورة فاطر حيث قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَارًا} (فاطر: ٣٩)

"يخبر تعالى هنا عن كمال حكمته ورحمته بعباده، أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل بعضهم يخلف بعضا في الأرض، ويرسل لكل أمة من الأمم النذر، فينظر كيف يعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به رسله، فإن كفره عليه، وعليه إثمه وعقوبته، ولا يحمل عنه أحد، ولا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له وبغضه إياه" (١).

فالله ﷻ قد خلق الإنسان وجعله خليفة في هذه الأرض ومنحه حرية إرادة واختيار، وأوضح له الطريق بأن أرسل له الرسل ليبينوا له طريق الخير وطريق الشر. قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِير﴾(فاطر: ٢٤) فإن اختار بمحض إرادته طريق الكفر والضلال فجزاؤه جهنم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور﴾(فاطر: ٣٦) وإن اختار بمحض إرادته واختياره طريق الهدى والفلاح فجزاؤه جنات عدن. قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير﴾(فاطر: ٣٣).

(١) الشيخ ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٦٩٠.

المبحث الثاني

الأدلة العقلية على وجود الله في سورة فاطر

العقل في اللغة هو: "الحِجْرُ والنُّهى، ضِدُّ الحُمْق. والجمع: عُقول". (١)

ويطلق العقل على قوة الحجة، فيقال: عاقَلْتُهُ، فعَقَلْتُهُ، أعْقُلُهُ: أي غلبته بالعقل. (٢)

العقل اصطلاحًا: "هو ما يُعقل به حقائق الأشياء". (٣)

فتعريف العقل في اللغة لا يختلف عنه في الاصطلاح حيث كلاهما يتفقان في أن العقل هو تلك القوة التي يمتلكها الإنسان ويميز بها ماهية الأشياء وحقيقتها.

ويُطلق ابن تيمية ـ رحمه الله ـ العقل على عدة مسميات منها:

ـ الغريزة المدركة وهي ما يتميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات. فيقول "وقد يراد بالعقل الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويُميز ويقصد المنافع دون المضار" (٤)

ـ ويُطلق العقل على المعارف الفطرية والعلوم الضرورية التي يشترك فيها جميع العقلاء.(٥)

فالفطرة تتضمن الأدلة العقلية حيث يستند الدليل العقلي ويرجع إلى الفطرة ضرورة كمثل أن النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، وأن الجزء أصغر من الكل، وأن الحادث لابد له من محدث، وما ماثل ذلك من العلوم التي لا تقبل التشكيك ولا تحتمل القدح، ولا يوثق

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٤٥٨.

(٢) انظر الجوهري، الصحاح، ٥/ ١٧٧١، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين_ بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ.

(٣) الجرجاني، التعريفات، ص٦٥.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٩/ ٢٨٧، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف_ السعودية، ١٤٢٥ هـ.

(٥) انظر درء تعارض العقل والنقل ٢١/ ٩.

بشيء إطلاقًا إن أمكن إنكارها أو القدح فيها والتي عنها تتفرع أوجه الأدلة العقلية[1].

ولذلك نجد أن الأدلة العقلية في القرآن الكريم جاءت في سياق استثارة الفطرة والتذكير بها، كاستثارة ما في النفس من تطلب الأسباب لمختلف الحوادث كما جاء في سورة النمل، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ* أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ* أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ* أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ* أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل ٦٠_٦٤)

يقول ابن تيمية: "ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه، فلم يكلفوا أولاً بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ كانت قلوبهم تعرفه وتقر به، وكل مولود يولد على الفطرة، ولكن عرض للفطرة ما غيّرها والإنسان إذا ذُكِّر ذكَر ما في فطرته؛ ولهذا قال الله في خطابه لموسى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} (طه: ٤٤) ما في فطرته من العلم الذي به يعرف ربَّه، ويعرف إنعامه عليه وإحسانه إليه وافتقاره إليه، فذلك يدعوه إلى الإيمان" [2].

(١) انظر ابن حزم، الفصل، ١/ ٤٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٦/ ٣٣٨.

هذا وقد اعتنى القرآن الكريم بالأدلة العقلية عناية عظيمة، ودعا إلى استعمال العقل وذلك بالنظر والتفكر، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٢) وقال: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم: ٢٨). وجاء في القرآن الكريم إثبات وجود الله ـعز وجلـ وإثبات ربوبيته ووحدانيته بالأدلة العقلية. يقول ابن تيمية: "السمع فيه من بيان الأدلة العقلية على إثبات الصانع ودلائل ربوبيته وقدرته، وبيان آيات الرسول ودلائل صدقه أضعاف ما يوجد في كلام النظار" (١)

ويتنوع الدليل العقلي في مظاهر دلالته، وأبرزها دلالة الخلق والإيجاد ودلالة التسخير والعناية والإحكام(٢).

ووردت هذه الأدلة العقلية في سورة فاطر في عدد من آياتها. وقد قسمتها على المطالب التالية: المطلب الأول: دليل الخلق والإيجاد المطلب الثاني: دليل العناية والإحكام.

المطلب الأول: دليل الخلق والإيجاد.

يُعد دليل الخلق والإيجاد من أظهر الأدلة الدالة على وجود الله ـ عزوجلـ وأيسرها، فإن حدوث الأشياء بعد أن لم تكن دالٌ على وجود من أحدثها وأوجدها بعد العدم.

يقول ابن رشد: "وأما دلالة الاختراع فيدخل فيها وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السماوات. وهذه الطريقة تُبنى على أصلين موجودين بالقوة في جميع فِطَر الناس: الأول: أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات، كما قال تعالى: " إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو... الآية ". فإنا نرى أجسامًا جمادية ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعًا أن هاهنا مُوجِدًا للحياة ومنعمًا بها، وهو الله

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/ ٩٣.

(٢) انظر سعود العريفي، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، ص١٤٧.

تبارك وتعالى، وأما السماوات فنعلم من قِبَل حركاتها التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما هاهنا، ومسخرة لنا، والمسخَّر مأمور مخترَع من قبل غيره ضرورة. والثاني: هو أن كل مخترَع فله مخترِع. فيصح من هذين الأصلين أن للموجود ـ والأصح قول (للمحدَث)ـ فاعلاً مخترعًا له" (١)

فمن المخلوقات ما نقف على خلقه وإيجاده من طريق الحس والمشاهدة ومنها ما نستدل على خلقه وإيجاده من خلال الشواهد الدالة عليه.

وقد ورد في سورة فاطر ما يلفت النظر إلى هذا الخلق الذي خلقه الله ﷻ وأوجده من العدم والذي يستحيل مع عظمته وإتقانه أن يكون جاء صدفة بدون خالق وموجد أوجده.

يقول تعالى في مطلع هذه السورة العظيمة:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير} [فاطر: ١]

قال ابن عاشور: "افْتِتَاحُها بالحَمد لله مُؤذِنٌ بأنَّ صفات من عظمة الله ستُذْكر فيها، وإجراء صفات الأفعال على اسم الجلالة من خلقه السَّماواتِ والْأرض وأَفضل ما فيها من الملائكة والمرسلين مُؤْذِن بأنَّ السورة جاءت لإثبات التَّوحيد وتصديق الرَّسول ﷺ. " (٢)

"والفاطر الخالق والْفَطْرُ الابْتِدَاء والاخْتراع قال ابن عبَّاس كنت لا أدري ما" فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ "حتَّى أتاني أعرابيَّان يخْتصِمان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها، أي أنا ابْتدَأْتُهَا. وَالْفَطْرُ. حَلْبُ النَّاقة بالسَّبَّابَة والإبهام. والمراد بذكرِ السَّماوات والأرض العالم

(١) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص١١٩.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٤٨.

كلُّه، ونبَّه بِهذا على أنَّ من قدر على الابْتداء قادر على الإِعادةِ. " (١)

"وقوله: (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَـاء (وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلْق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشـاء، ونقْصـانه عن الآخر ما أحبَّ، وكذلك ذلك في جميع خلْقه يزيد ما يشـاء في خلْق ما شـاء منْه، وينْقص ما شـاء من خلق ما شـاء، له الخلق والأمر، وله القدرة والسُّلطان (إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(إنَّ الله تعالى ذكْره قديرٌ على زيادة ما شاء من ذلك فيما شـاء، ونُقصـان ما شـاء منه ممَّنْ شـاء، وغير ذلك من الأَشْيَاء كُلِّها، لا يمْتنع عليه فعل شيء أراده ﷻ" (٢)

فقد تضـمنت هذه الآية الكريمة معنى الحمد المطلق والثناء التام لله ﷻ الخالق لهذا الكون الفسيح بأسره، وللملائكة على عظمتها. مما يدل على وجود خالق عظيم قدير حكيم مريد.

ويقول تعالى: {وَاللهُ الَّذِي أَرْسَـلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَـحَابًا فَسُـقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُور}[فاطر: ٩]

يقول ابن عاشـور: "مَّا قُدِّم في أول السـورة الاسْـتدلال بأن الله فطر السـماوات والأرض وما في السَّـماوات من أهلها وذلك أعْظم دليل على تفرُّده بالإلهيَّة ثَنَّى هنا بالاسْـتدلال بتصـريف الأحوال بين السَّـماء والأرض وذلك بإرسـال الرِّياح وتكْوين السَّـحاب وإنزال المطر، فهذا عطف على قوله" فاطر السَّـماوات والأرض.... "واختير من دلائل الوحدانيَّة

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤/ ٣١٩، وانظر الواحدي، الوسـيط في تفسـير القرآن المجيد، ٣/ ٥٠٠، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية_ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٤٨.

(٢) الإمام الطبري، جامع البيان، ١٩/ ٣٢٧

دلالة تجمُّعِ أسْباب المطر لِيُفْضي من ذلك إلى تنْظير إحياء الأموات بعد أحوال الفناء بآثار ذلك الصُّنْعِ العجيب وأنَّ الَّذي خلق وسائل إحياء الأرض قادرٌ على خلق وسائل إحْياء الَّذين ضَمِنتْهُم الأَرْض على سبيل الإدماج" (١).

فيرشد الله ـعز وجلـ في هذه الآية الإنسان إلى إعمال عقله بالتأمل في قدرة الله على إحياء الأرض الميتة بعد أن يرسل إليها المطر، ويقيس على ذلك قدرته سبحانه على إحياء الموتى.

ثم يرشدنا الله ﷻ إلى التأمل في خلق أنفسنا وكيف أوجد سبحانه هذا الإنسان من العدم، فيقول ﷻ:{وَاللهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير}[فاطر: ١١]

"فالدَّلائل مع كثرتها وعدم دخولها في عدد محْصورٍ منحَصِرةٌ في قسْمين دلائل الآفاق ودلائل الْأنفس، كما قال تعَالَى: (سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) فصلت: ٥٣ فلما ذكر سبحانه دلائل الآفاق من السموات وما يُرسل منها من الملائكة والأرض وما يُرْسل فيها من الرِّياح شرع في دلائل الْأَنفُس" (٢).

حيث لا يزال موضوع السورة في سوق الأدلة على إثبات وحدانية الله وقدرته وعظمته، فبعد أن دُعي الإنسان إلى التفكر في الآفاق وفي هذا الكون الفسيح جاءت الدعوة إلى التفكر في نفس هذا الإنسان وفي أصل خلقه وتكوينه. "فَابْتَدَأَهم بتذكيرهم بأصل التَّكوين الأول من

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٦٧.

(٢) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٦/ ٢٢٧، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

تراب وهو ما تقَرَّر علْمه لدى جميع الْبشـر من أنَّ أصْـلهُم وهوَ البشـر الأَوَّل، خُلِقَ من طين فصـار ذلـك حقيقـة مقرّرَةً في علم البشـر وهيَ مِمَّـا يُعَبَّر عَنـه في المنطق بـالأصُـول الموضـوعة القائمة مقامَ المحْسوسات ثمَّ استدرجهم إلى التَّكوين الثاني بدلالة خلق النَّسل من نُطفة وذلك علم مُسْـتقّ في النُّفوس بمشـاهدة الحاضـر وقياس الغائب على المشـاهد، فكما يجزم المرء بأن نسْلَه خُلِقَ من نطفته يجزم بأنَّه خُلِقَ من نطفة أبويْه، وهكذا يصعَدُ إلى تَخَلُّق أبناء آدم وحوَّاء" (١).

يقول جمال الدين القاسـمي: "ولما كانت معرفة العالم كله تصـعب على الإنسـان الواحد لقصـور أفهام بعضـهم عنها واشـتغال بعضـهم بالضـرورات التي يعرفها منهم جعل تعالى لكل إنسـان من نفسه وبدنه عالمًا صغيرًا أوجد فيه مثال ما هو موجود في العالم الكبير ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر من كتاب بسيط يكون مع كل أحد نسخة يتأملها في الحضر والسفر والليل والنهار فإن نشط وتفرغ للتوسط في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليغزر علمه ويتسع فهمه وإلا فله مقنع بالمختصر الذي معه، ولذا قال تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات: ٢١" (٢)

هذا وقد ورد في سورة فاطر آية عظيمة تثير الدهشة للمتأمل فيها، حيث تشير إلى قدرة الله سبحانه على الخلق والإبداع في تعدد أنواع مخلوقاته وأشكالها وألوانها فيقول ﷻ:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّـمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُـود}[فاطر: ٢٧] {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُور}[فاطر: ٢٨]

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٧٦.

(٢) دلائل التوحيد، ص٢٩.

" ففي هذه الآية اسْـتدلال على قُدْرة الله واختياره حيث أخرج من الماء الواحد ثمراتٍ مُختلفة، وفيه لطائف: الأولى: قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ) فإن كان جاهلًا يقول نزول الماء بالطَّبع لثقله فيقال له، فالإخراج لا يُمْكنك أن تقول فيه إنَّه بالطَّبع فهو بإرادة الله، فلمَّا كان ذلك أظهر أَسـنده إلى المتكلم. ووجه آخر هو أنَّ الله تعَالى لمَّا قال: (أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ) عُلِم اللهُ بدليل، وقرُبَ الْمُتَفَكَّرُ فيه إلى الله تعالى فصـار من الْحاضـرينَ فقال له أَخْرَجْنَا لِقُرْبِهِ ووجه ثالث الإخراجُ أتمُّ نعْمَة من الإنزال، لأَنَّ الإِنْزال لفائدة الإِخْراج فأسند الأتمَّ إلى نفْسهِ بصيغَةِ الْمُتكَلِّم وما دُونَهُ بصيغَةِ الغائب. اللَّطيفة الثَّانية: قال تعالى: (وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُـودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ)، كأَنَّ قائلًا قال اخْتِلافُ الثَّمراتِ لِاخْتلافِ الْبقاع. ألا ترَى أَنَّ بعْض النَّباتات لا تنْبُتُ ببعْضِ الْبِلادِ كالزَّعفران وغيره، فقال تعالى اخْتِلاف الْبقاع ليس إلَّا بإرادة الله وإلَّا فلم صـار بعْض الجبَال فيه مواضعُ حُمْرٌ ومواضعُ بِيضٌ، والْجُدَدُ جَمْعُ جُدَّةٍ وهي الْخُطَّةُ أو الطَّرِيقة... وقال جُدَدٌ بِيضٌ، أي مع دلالتها بنفْسـها هي دالَّة باختلافِ ألوانِها، كما أنَّ إِخْراج الثَّمرات في نفْسِها دلائلُ واختلاف أَلْوانها دلائل... (ومن النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ) استدلالًا آخر على قُدْرَته وإِرادَتِه"[1].

ففي كل لون من ألوان هذا التنوع دلالة على وجود خالق عظيم مدبر حكيم لهذا الكون. فالثمرات التي تسـقى بماء واحد وتتغذى بتربة واحدة تخرج مختلفة الألوان والأحجام والطعوم. وتلك الجبال العظيمة في خلقها جميعها تتكون من مادة الأرض ومعادنها ودورها تثبيت الأرض وترسـيتها، وقد ظهرت قدرة الله في ألوانها فمنها الأحمر والأسـود شـديد السـواد والأبيض ناصـع البياض، ومنها الهش والصـلب. والاختلاف الأشـد والتنوع الأكثر

(1) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٦/ ٢٣٥_٢٣٦، بتصرف يسير.

يأتي في عالم الأحياء فاختلاف الناس في أشكالهم وألوانهم وألسنتهم، واختلاف الأنعام والدواب، كل ذلك من مظاهر قدرة الله وعظمته في خلقه الظاهرة بالحس والمشاهدة. والتي لا يخطأ عقل في إدراكها وإدراك أن لهذا الكون خالقًا مُوجدًا له، عظيمٌ حكيمٌ في تدبيره له[١].

المطلب الثاني: دليل العناية والإحكام.

يُعد دليل العناية والإحكام من أقوى الأدلة اليوم في الرد على من أنكر وجود الله ـ عزوجل ـ.[٢]

وتقوم فكرة دليل العناية والإتقان على الاستدلال بما في المخلوقات من دقة صنع وإحكام وإتقان وتسخير بعضها لبعض على وجود خالق عليم حكيم. يقول الإمام ابن القيم ـرحمه اللهـ: "ومن نظر في هذا العالم وتأمل أمره حق التأمل علم قطعًا أن خالقه أتقنه، وأحكمه غاية الإتقان والإحكام، فإنه إذا تأمله وجده كالبيت المبني المعد فيه جميع عتاده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والمنافع مخزونة كالذخائر، كل شيء منها لأمر يصلح له، والإنسان كالمالك المخول فيه، وضروب النبات مهيأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصرفة في مصالحه، فمنها ما هو للدر والنسل والغذاء فقط، ومنها ما هو للركوب والحمولة فقط، ومنها ما هو للجمال والزينة، ومنها ما يجمع ذلك كله كالإبل، وجعل أجوافها خزائن لما هو شراب وغذاء ودواء وشفاء، ففيها عبرة للناظرين، وآيات للمتوسمين، وفي الطير واختلاف أشكالها وألوانها ومقاديرها ومنافعها وأصواتها صافات وقابضات وغاديات ورائحات ومقيمات وظاعنات أعظم عبرة

---

(١) انظر د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٢٤، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ.

(٢) انظر عبدالله العجيري، شموع النهار، ص١٧٤.

وأبين دلالة على حكمة الخلاق العليم" [١].

ويوضح ابن رشد أن دليل العناية يقوم على أصلين: "الأول: أن العالم بجميع أجزائه يوجد موافقًا لوجود الإنسان، ولوجود جميع الحيوانات الموجودة ههنا. الثاني: أن كل ما يوجد موافقًا في جميع أجزائه لفعل واحد، مسددًا نحو غاية واحدة، فهو مصنوع ضرورةً. فينتج عن هذين الأصلين أن العالم مصنوع، وأن له صانعًا، وذلك أن دلالة العناية تدل على الأمرين معًا، لذلك كانت أشرف الدلائل الدالة على وجود الصانع" [٢].

وقد ورد في سورة فاطر ما يدعو إلى النظر والتفكر في عظيم صنع الله ـسبحانه وتعالىـ ودقة إتقانه وإحكامه.

فيقول تعالى: {مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم}[فاطر: ٢]

"وقوله- تعالى-: ما يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها... بيان لمظهر آخر من مظاهر قدرته وفضله على عباده. والمراد بالفتح هنا الإطلاق والإرسال على سبيل المجاز. بعلاقة السببية لأن فتح الشيء المغلق، سبب لإطلاق ما فيه وإرساله. أي ما يرسل الله- تعالى- بفضله وإحسانه للناس من رحمة متمثلة في الأمطار، وفي الأرزاق، وفي الصحة.. وفي غير ذلك، فلا أحد يقدر على منعها عنهم. وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ أي وما يمسك من شيء لا يريد إعطاءه لهم، فلا أحد من الخلق يستطيع إرساله لهم. بعد أن منعه الله-

(١) الصواعق المرسلة، ٤/ ١٥٦٨، تحقيق علي محمد الدخيل الله، دار العاصمةـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

(٢) الكشف عن مناهج الأدلة، ص١٦٢.

تعالى- عنهم. وَهُوَ- سبحانه- الْعَزِيزُ الذي لا يغلبه غالب الْحَكِيمُ في كل أقواله وأفعاله."[١]

"(مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَة) ما يأتيهم به من مطر أو رزق فلا يقدر أحد أن يمسكها، وما يمسك من ذلك فلا يقدر قادر أن يرسله وهو وقوله) وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ)"[٢]

وَقَوْلُهُ (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ (يقول: وهو العزيزُ في نقْمَتِه مِمَّن انْتَقم منه من خَلْقِهِ بحبس رحمته عنه وخيراتِهِ، الحكيمُ في تَدْبيرِ خَلْقِه، وفتحه لهم الرَّحمة إذا كان فتْحُ ذلك صلاحًا، وإمْسَاكه إيَّاه عنهم إذا كان إمْسَاكُه حكمة "[٣]

فتشير هذه الآية الكريمة إلى عناية الله تعالى بخلقه وحسن تدبيره وإحكامه لخلقه.

ويقول تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُون}[فاطر: ٣]

" والمقصود التَّذكِير بنعَم اللهِ تعالى ليشكروا، ويكون ذلك كنايةً عن الاستدلال على انتفاءِ وصفِ الخالقِيَّةِ عن غيره تعالى لأنَّه لو كان غيره خالقًا لكان رازقًا إذ الخَلْقُ بدون رزق قصورٌ في الْخَالِقِيَّةِ لأنَّ المخلوق بدون رزق لا يلبث أنْ يصير إلى الهلاك والعدم فيكون خَلْقُه عبثًا ينزَّهُ عنه الموصُوفُ بالإلهِيَّة المقتضية للحِكمة فكانت الآيَة مذكِّرَة بنعمَتَي الإيجاد والإمْدَاد. وزيادة من السَّماء والأرض تذكير بتَعَدُّد مصادر الْأَرْزاق فإنَّ منها سماويَّة كالمطر الَّذي منه شرابٌ، ومنه طهورٌ، وسبب نباتِ أشجارٍ وكَلَأٍ، وكالْمَنِّ الَّذي ينزل على شجرٍ خاصٍّ من أنْدِيَةٍ في الجوِّ، وكالضِّيَاءِ من الشَّمس، والاهْتِدَاء بالنُّجوم في اللَّيْل، وكذلك

(١) الطنطاوي، التفسير الوسيط، ١١/ ٣٢١.

(٢) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ٣/ ٥٠٠.

(٣) الطبري، جامع البيان، ١٩/ ٣٢٨.

أنواع الطَّير الَّذي يُصَـاد، كلُّ ذلك من السَّـماء. ومن الأرض أرزاق كثيرةٌ من حبوبٍ وثمارٍ وزيوتٍ وفواكه ومعادن وكَلَأٍ وَكَمْأَةٍ وأسماك البِحار والأنهار "[1]

يقول ابن عاشور: " قوله (يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ) لمَّا بيَّن أنَّ الحَمد لِلَّهِ وبيَّن بعض وجوه النِّعْمة الَّتي تَسْتوجب الحمد على سبيل التَّفصيل بيَّن نعمه على سبيل الإجمال فقال: اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ وهي مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الإيجاد، ونعمة الإبْقَاء، هل من خالق غير اللهِ إشارة إلى نعمة الإيجاد في الابْتِداء، يرزُقُكُم من السَّماء والأرض إشارة إلى نعمة الإبْقَاء بالرِّزق إلى الانتهاء، ثمَّ بيَّن أنَّهُ لا إلهَ إلَّا هُوَ نظرًا إلى عظمته حيث هو عزيزٌ حكيمٌ قادرٌ على كلِّ شيءٍ قديرٌ نافذ الإرادة في كلِّ شيءٍ ولا مثل لهذا ولا معبود لذاته غير هذا ونظرًا إلى نعمته حيث لا خالق غيره ولا رازق إلَّا هو "[2].

وفي هذه الآية إشارة إلى الدليلين معًا دليل الخلق والإيجاد ودليل العناية والإحكام.

ويقول تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}[فاطر: ١٢]

" فصيغ هذا الاستدلال على أسلوبٍ بدِيعٍ إذ اقتُصِرَ فيه على التَّنبيه على الحكمَة الرَّبَّانيَّة في المخلوقات وهي ناموس تَمَايُزِها بخصائص مختلفة واتِّحَاد أنواعها في خصائص متماثِلة استِدْلالًا على دقيق صُنْع الله تعالى... فالاختلاف بين البحرين بالعذوبة والملوحة دليل على دقيق صنعِ الله. والتَّخَالف في بعض مُسْتَخرَجَاتِهما والتَّماثل في بعضها دليلٌ آخر على دقيق الصُّنْع وهذا من أفَانِين الاستدلال... وتقديم الظَّرْف في قوله: فيه مواخر على عكس آية

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٥٥.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٦/ ٢٢٣.

سُــورة النَّحْل، لأنَّ هذه الآية مسُــوقة مســاق الاســتدلال على دقيق صُــنْع الله تعالى في المخلوقات وأُدْمِجَ فيهِ الامتنان بقوله: تَأْكُلُونَ.... وتَسْــتَخْرِجُونَ حِلْيَةً وقوله: لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فكان المقصِدُ الأَوَّل من سياقها الاستدلال على عظيم الصُّنْعِ فهو الأهمُّ هنا. ولمَّا كان طفْوُ الفُلك على الماء حتَّى لا يغرق فيه أظهر في الاستِدلال على عظيم الصُّــنْعِ من الَّذي ذُكِرَ من النِّعْمةِ والامْتِنَان قدِّم ما يَدُلُّ عليْه وهُو الظَّرْفيَّة في البحر. والمَخْرُ في البحر آية صُــنْعِ الله أيضًا بخلق وسائل ذلك والإلهام له "[1].

ويقول تعالى: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَــمًّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ}[فاطر: ١٣]

" اسْتدلالٌ آخر باخْتلاف الأزمنة وقد ذكرناه مرارًا، وذكرنا أنَّ قوله تعالى بعده: وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ جوابٌ لسؤالٍ يذكره المُشْركون وهو أنَّهمْ قالوا اخْتِلافُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ بسببِ اخْتِلاف الْقسِــيِّ الْواقعةِ فوق الأرض وتحْتها، فإنَّ في الصَّــيْف تمر الشــمس على ســمت الرؤوس في بعض البلاد الْمَاثِلة في الآفاق، وحركة الشَّمس هناك حَمَائِلِيَّةٌ فتقع تحْت الأرْض أقَلَّ من نصْفِ دائرة زمان مُكْثِهَا تحت الأرض فَيَقْصُرُ اللَّيْل وفي الشِّتاء بالضِّدِّ فَيَقْصُرُ النَّهار فقال الله تعالى: وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يعْني سبب الاختلاف وإن كان ما ذكرْتمْ، لكنَّ سَيْرَ الشَّمس والْقمر بإرادة اللهِ وقدرته فهو الَّذي فعل ذلك ثمَّ قال تعالى: ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ أي ذلك الذي فعل هذه الأشــياء من فطر السموات والأرض وإرْسال الأرواح وإرسالِ الرِّياح وخلْق الإنسان من ترابٍ وغيْرِ ذلكَ لهُ المُلك كلُّه فلا معْبُودَ إلَّا هو لذاته الكامل ولكونه ملِكًا والمَلِكُ مخْدُومٌ بِقَدْرِ مُلْكِهِ، فإذا كان

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٨٠_٢٨١، وانظر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٦/ ٢٢٨.

له الملك كُلُّه فله العبادَة كلُّها، ثمّ بيَّن ما ينافي صفة الإلهيَّة، وهو قوله: وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ، وهَهُنا لطيفةٌ: وهي أنَّ اللهَ تعالى ذكر لنَفْسه نوْعيْنِ من الأوصاف أحدهما: الخلق بالقدرة والإرادة والثَّاني: المُلْكُ واسْتُدِلَّ بهما على أنَّه إلهٌ معْبُودٌ كما قال تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلهِ النَّاسِ) النَّاسِ: ١- ٣ ذكر الرَّب والْمَلِك ورتَّب عليْهما كونه إلهًا أي معْبُودًا "[1].

ويقول تعالى: {إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}[فاطر: ٤١]

"يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السماوات والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدرهم وقواهم عنهما ولكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخلق القرار، والنفع، والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالًا وتعظيمًا، ومحبةً وتكريمًا، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنبين، وعدم معالجته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه" [2].

ويقول ابن عاشور- رحمه الله- في هذه الآية: " أن فيها إثبات أنه تعالى هو القيّوم على السموات والأرض لتبقيا موجودتين فهو الحافظ بقدرته نظام بقائهما... فالله مريد استمرار حركة انتظام الكواكب والأرض على هذا النظام المشاهد المسمى بالنظام الشمسي وكذلك نظام الكواكب الأخرى الخارجة عنه إلى فلك الثوابت، أي إذا أراد الله انقراض تلك العوالم

---

(١) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٦/ ٢٢٨.

(٢) الشيخ ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٦٩١.

أو بعضها قيّض فيها طوارئ الخلل والفساد والخرق بعد الالتئام والفتق بعد الرتق، فتفككت وانتشرت إلى ما لا يعلم مصيره إلا الله وحينئذ لا يستطيع غيره مدافعة ذلك ولا إرجاعها إلى نظامها السابق فربما اضمحلت أو اضمحل بعضها، وربما أخذت مسالك جديدة من البقاء. وفي هذا إيقاظ للبصائر لتعلم ذلك علمًا إجماليًا وتتدبر في انتساق هذا النظام البديع"" [١]

فهكذا نرى أن أدلة الخلق والإيجاد تثبت أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو المتفرد بالخلق والإيجاد، وتبطل كل ما يقوله الملحدون من نظريات حول أزلية الكون، ونرى أن أدلة العناية والإحكام تثبت قدرة الله وعظيم صنعه وإبداعه في خلقه وتبطل كل ما يقوله الملحدون من نظريات حول مجيء هذا الكون صدفة بدون سبب. [٢]

(١) التحرير والتنوير، ٢٢/ ٣٢٧.

(٢) انظر د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص١١٧.

الخاتمــة

وفي خاتمة هذا البحث أحمد الله ـ ﷻ ـ الذي يســر وأعان على إتمام هذا البحث، وقد توصلت فيه إلى عدد من النتائج والتوصيات.

النتائج:

- أن من مقاصــد ســورة فاطر الحديث عن الله ـسـبحانه وتعالى ـ وعن عظمته في خلقه، وقدرته الظاهرة في كثرة التنوع والاختلاف في مخلوقاته.
- يُعد الدليل الفطري من أقوى الأدلة على وجود الله ـتعالى ـ وهو متضــمن للدليل العقلي.
- تضمن سورة فاطر للأدلة الفطرية كدليل الشعور بالافتقار للخالق ـسبحانه ـ، وشعور حرية الإرادة والاختيار.
- الأدلة العقلية في سورة فاطر تندرج تحت نوعين من الأدلة دلالة الخلق والإيجاد ودلالة العناية والإحكام.

التوصيات:

- أوصي بتتبع سور القرآن الكريم ودراسة دلائل وجود الله ـتعالى ـ فيها، لتعزيز اليقين، وللرد بذلك على المنكرين الجاحدين.
- أوصي بالتركيز على أدلة وجود الله ﷻ وإفراداها بالتدريس في مناهج التعليم.

المراجـــع

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، دار الكتب العلمية_ بيروت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة، تحقيق علي محمد الدخيل الله، دار العاصمة_ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد السالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية_ المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ.
- ابن تيمية، محمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف_ السعودية، ١٤٢٥ هـ.
- ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي_ القاهرة.
- ابن رشد، محمد بن أحمد بن الوليد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وبيان ما وقع فيها بسبب التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضلة، ضمن فلسفة ابن رشد.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية_ تونس، سنة ١٩٨٤ هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر_ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي ﷺ وسننه وأيامه، البشر_ كراتشي، ١٤٣٧ هـ.
- الجرجاني، علي بن محمد السيد، التعريفات، دار الكتب العلمية_ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد

عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين_ بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ.

- الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي_ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ أحمد، المكتبة العصرية_ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠ هـ.
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، نهاية الإقدام في علم الكلام، صححه ألفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى.
- طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط، دار نهضة مصر_ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- العجيري، عبدالله، شموع النهار، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.
- العريفي، سعود، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، دار تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية_ القاهرة.
- القاسمي، جمال الدين، دلائل التوحيد، دار الكتب العلمية_ بيروت.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني

وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية_ القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ.

- مسلم، د. مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم_ دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي_ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.
- الواحدي، علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية_ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

Al-Marāji‘

- Ibn al-Qayyim ،Muḥammad ibn Abī Bakr ،al-rūḥ ،Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah _ Bayrūt .
- Ibn al-Qayyim ،Muḥammad ibn Abī Bakr ،al-Ṣawā‘iq al-mursalah ،taḥqīq ‘Alī Muḥammad al-Dukhayyil Allāh ،Dār al-‘Āṣimah _ al-Riyāḍ ،al-Ṭab‘ah al-ūlá 1408h
- Ibn Taymīyah ،Aḥmad ibn ‘bdālḥlym ،Dar’ Ta‘āruḍ al-‘aql wa-al-naql ،taḥqīq Muḥammad Rashād al-Sālim ،Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmīyah _ al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah ،al-Ṭab‘ah al-thāniyah 1411h.
- Ibn Taymīyah ،Muḥammad ibn ‘bdālḥlym ،Majmū‘ al-Fatāwá ،Majma‘ al-Malik Fahd li-Ṭibā‘at al-Muṣḥaf al-Sharīf _ al-Sa‘ūdīyah ،1425h.
- Ibn Ḥazm ،Alī ibn Aḥmad ،al-faṣl fī al-milal wāl’hwā’ wa-al-niḥal ،Maktabat al-Khānjī _ al-Qāhirah.
- Ibn Rushd ،Muḥammad ibn Aḥmad ibn al-Walīd ،al-kashf ‘an Manāhij al-adillah fī ‘aqā’id al-millah wa-bayān mā waqa‘a fīhā bi-sabab al-ta’wīl min al-shubah almzyfh wa-al-bida‘ al-muḍillah ،ḍimna Falsafat Ibn Rushd.
- Ibn ‘Āshūr ،Muḥammad al-Ṭāhir ،al-Taḥrīr wa-al-tanwīr ،al-Dār al-Tūnisīyah _ Tūnis ،sanat 1984h.

- Ibn manẓūr ،Muḥammad ibn Mukarram ،Lisān al-‘Arab ،Dār Ṣādir _ Bayrūt ،al-Ṭab‘ah al-thālithah 1414h.
- Al-Bukhārī ،Muḥammad ibn Ismā‘īl ،al-Jāmi‘ al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr al-Nabī ṣallá Allāh ‘alayhi wa-sallam wsnnh wa-ayyāmuh ،al-bashar _ Karātshī ،1437h..
- Al-Jurjānī ،Alī ibn Muḥammad al-Sayyid ،alt‘ryfāt ،Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah _ Bayrūt ،al-Ṭab‘ah al-ūlá 1403h.
- Al-Jawharī ،Ismā‘īl ibn Ḥammād ،al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-‘Arabīyah ، taḥqīq Aḥmad ‘bdālghfwr ‘Aṭṭār ،Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn _ Bayrūt ،al-Ṭab‘ah al-rābi‘ah 1407h.
- Al-Rāzī ،Fakhr al-Dīn ،Mafātīḥ al-ghayb ،Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī _ Bayrūt ،al-Ṭab‘ah al-thālithah 1420h.
- Al-Rāzī ،Muḥammad ibn Abī Bakr ،Mukhtār al-ṣiḥāḥ ،taḥqīq Yūsuf al-Shaykh Aḥmad ،al-Maktabah al-‘Aṣrīyah _ Bayrūt ،al-Ṭab‘ah al-khāmisah 1420h.
- Al-Sa‘dī ،Abd-al-Raḥmān ibn Nāṣir ،Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān ،taḥqīq ‘Abd-al-Raḥmān al-Luwayḥiq ،Mu’assasat al-Risālah ،al-Ṭab‘ah al-ūlá 1420h.
- Al-Shahrastānī ،Muḥammad ibn ‘Abd-al-Karīm ،nihāyat al-iqdām fī ‘ilm al-kalām ،ṣaḥḥaḥahu Alfrid Guillaume ،Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah ،Miṣr ،al-Ṭab‘ah al-ūlá.
- _Ṭanṭāwī ،Muḥammad ،al-tafsīr al-Wasīṭ ،Dār Nahḍat Miṣr _ al-Qāhirah ،al-Ṭab‘ah al-ūlá 1998M.
- Al-‘Ujayrī ،Allāh ،Shumū‘ al-Nahār ،takwīn lil-Dirāsāt wa-al-Abḥāth ،al-Ṭab‘ah al-ūlá 1437h_ .
- Al-‘Arīfī ،Sa‘ūd ،al-adillah al-‘aqlīyah al-naqlīyah ‘alá uṣūl al-i‘tiqād ،Dār takwīn lil-Dirāsāt wa-al-Abḥāth ،al-Ṭab‘ah al-ūlá 1435h.
- Al-Farāhīdī ،al-Khalīl ibn Aḥmad ،al-‘Ayn ،taḥqīq Mahdī al-Makhzūmī wa-Ibrāhīm al-Sāmarrā’ī ،Dār al-Hilāl.
- Al-Fīrūzābādī ،Muḥammad ibn Ya‘qūb ،Baṣā’ir dhawī al-Tamyīz fī Laṭā’if al-Kitāb al-‘Azīz ،taḥqīq Muḥammad ‘Alī al-Najjār ،al-Majlis al-A‘lá lil-Shu’ūn al-Islāmīyah _ al-Qāhirah.

- Al-Qāsimī ،Jamāl al-Dīn ،Dalā'il al-tawḥīd ،Dār al-Kutub al-'Ilmīyah _ Bayrūt_ .
- Al-Qurṭubī ،Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr ،al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān ، taḥqīq Aḥmad _Al-Baraddūnī wa-Ibrāhīm Aṭṭafayyish ،Dār al-Kutub al-Miṣrīyah _ al-Qāhirah ،al-Ṭab'ah al-thāniyah 1384h.
- Muslim ،D. Muṣṭafá ،Mabāḥith fī al-tafsīr al-mawḍū'ī ،Dār al-Qalam _ Dimashq ، al-Ṭab'ah al-thālithah 1421h.
- Al-Nīsābūrī ،Muslim ibn al-Ḥajjāj ،al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min al-sunan bi-naql al-'Adl 'an al-'Adl ilá Rasūl Allāh ṣallá Allāh 'alayhi wa-sallam ،taḥqīq Muḥammad Fu'ād 'Abd-al-Bāqī ،Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī _ Bayrūt ،al-Ṭab'ah al-ūlá 1991m.
- Al-Wāḥidī ،Alī ibn Aḥmad ،al-Wasīṭ fī tafsīr al-Qur'ān al-Majīd ،taḥqīq 'Ādil 'Abd al-Mawjūd wa-ākharūn ،Dār al-Kutub al-'Ilmīyah _ Bayrūt ،al-Ṭab'ah al-ūlá 1415h.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

ملخص البحث ٢٨٧

المقدمـــة ٢٨٩

تمهيد: التعريف بسورة فاطر ومقاصدها ٢٩٢

المبحث الأول: الأدلة الفطرية على وجود الله في سورة فاطر ٢٩٤

المطلب الأول: الشعور بالافتقار والتطلع إلى الكمال ٢٩٨

المطلب الثاني: الشعور بحرية الإرادة والاختيار. ٣٠٠

المبحث الثاني: الأدلة العقلية على وجود الله في سورة فاطر ٣٠٣

المطلب الأول: دليل الخلق والإيجاد. ٣٠٥

المطلب الثاني: دليل العناية والإحكام ٣١١

الخاتمـــة ٣١٨

المراجـــــع ٣١٩

فهرس موضوعـات البحث ٣٢٤